العرب
الجمعة 2019/11/08
السنة 42 العدد 11522

السيطرة على الأبناء محاولة لتقويم سلوكهم أم تلبية لتوقعات المجتمع

الاستبداد كطريقة متبعة في التربية ينتج أطفالا كذابين

تتحدد مسؤولية الآباء والأمهات في العموم بمحاولة فرض السيطرة على الأبناء، ليست سيطرة بمعناها المباشر المتسلط بل الرغبة في تحديد مسار معين قدر الإمكان لتقنين سلوكهم والحفاظ على سلامتهم الجسدية والنفسية، ولمساعدتهم على الاندماج في المجتمع والتكيف مع قوانين الحياة ومسارات الحياة اليومية.

نهى الصراف
كاتبة عراقية

على الرغم من أن بعض أساليب التوجيه التي يتبناها الآباء تتخذ صيغة الأمر واجب الطاعة مثل: لا تفعل هذا الأمر، لا تشاكس، أكتب واجبك المدرسي ولا تتأخر عن حدود الساعة السابعة مساء، فإن الظاهر يبدو وكأنّ هناك على الدوام أشياء وأفعالا يريد الأبناء القيام بها، وهناك في المقابل إجراءات يحاول الآباء من خلالها إيقاف هذه الأفعال أو تحجيمها.

على مدى عقود من الأبحاث النفسية والاجتماعية، فإن أغلب الآباء والمربين يحاولون بشكل أو بآخر فرض سيطرتهم على أبنائهم، إلا أن لكل منهم طريقته أو الأنماط التي يتبناها سواء أكانت تربوية أو غير ذلك، وسواء أكانت مقنعة لمجتمع البحث النفسي أم مجرد تجارب تحتمل الخطأ والمحاولة، كما تختلف أهدافها بين محاولة تلبية احتياجات الطفل ودعم تطوره المعرفي إلى محاولة التحكم في سلوكه فقط لتلبية احتياجات وتوقعات الآخرين.

ويعرض متخصصون أربعة أنماط من الآباء في ما يتعلق بضبط سلوك الطفل وهي: الآباء الاستبداديون الذين يتمتعون بمستوى عال من التحكم ويعاقبون السلوك السيء لكنهم لا يقدمون الدعم العاطفي لأبنائهم ويكون محور اهتمامهم على وجوب طاعتهم في الوقت الذي لا يأخذون مشاعر الطفل بعين الاعتبار، بل لا يسمحون له بالانخراط في تحديات وتجربة اجتياز العقبات مهما كان مستوى خطورتها، وهم يعتقدون بأن الأبناء يجب عليهم اتباع القواعد من دون استثناء.

أما الآباء المتساهلون أو المتسامحون فهم الذين يظهرون دفء عال في مشاعرهم تجاه الأبناء ومع ذلك لا تتوافر عندهم القدرة على ضبط السلوك، في حين يخلق الآباء الموثوقون توازنا مقبولا بين استخدام سلطتهم الأبوية في ضبط سلوك الأبناء مع منحهم الدفء والمساندة العاطفية، حيث يعملون على وضع قواعد واضحة ويتابعون تطور السلوك، أما النمط الأخير فهم الآباء غير المشاركين الذين لا يتمتعون بقدر كاف من السيطرة والتحكم بسلوك أبنائهم، إضافة إلى عدم قدرتهم على إظهار الدعم العاطفي لهم متى ما كانوا بحاجة إلى ذلك.

الثواب والمكافآت يعززان سلوك الأبناء

يتمتعون بالاتزان النفسي، علاقات ناجحة مع الأصدقاء، وبالتالي يبدون أكثر سعادة في حياتهم. في حين يحصل الأطفال لآباء مستبدين ومتحكمين، على فرص وتجارب حياتية أفضل في العموم من أقرانهم الذين ينتمون إلى آباء غير مبالين ومتساهلين للغاية ولا يستخدمون الحزم للسيطرة على سلوك أبنائهم، ويتضح هذا بصورة جلية في الإنجاز الأكاديمي. لكن الاستبداد كطريقة متبعة في التربية قد ينتج أطفالاً كذابين يلجؤون إلى إخفاء الحقيقة خوفاً من العقاب، ويكونون عرضة لمشكلات تتعلق باحترام الذات، وربما تدني الثقة بالنفس والعدوانية الموجهة للمجتمع.

> الأطفال الذين ينشأون لآباء موثوقين على الأغلب سيصبحون بالغين يتصرفون بمسؤولية ويشعرون بثقة أكبر للتعبير عن آرائهم وأكثر حكمة في اتخاذ القرارات وتقييم المواقف

ومن جانب آخر، من المرجّح أن يعاني الأطفال الذين يكونون تحت وصاية آباء متساهلين، من بعض المشاكل الصغيرة مثل التسيّب والتسكع ويخفقون في دراستهم، لكنهم لا يميلون مثلاً إلى ارتكاب مخالفات سلوكية كبيرة مثل الانخراط في تعاطي المخدرات.

ومن المثير للاهتمام، أن الآباء الذين ينجحون في تحقيق التوازن بين تعديل سلوك الأبناء بما يتوافق ومصلحة الطفل، إضافة إلى تلبية توقعات الآخرين في محيطهم الاجتماعي، يقدّمون خدمة مضاعفة لمجتمعهم وأبنائهم على حد سواء، فهم يبذلون جهداً كبيرا للحفاظ على علاقة إيجابية مع الطفل ويضعون رأيه بعين الاعتبار. ولأن الآباء في أغلب هذه الأنماط لا يكونون على قدم المساواة في التعبير عن مقارباتهم في ما يتعلق بطريقة التربية المتبعة، فإن المتسلطين منهم على سبيل المثال غير استبداديين بالضرورة، لكنهم يمكن أن يحققوا أعلى مستويات التحكم، كما يميل الموثوقون منهم إلى أن يكونوا أكثر اتساقاً في وضع القواعد والحرص على تطبيقها من قبل الأبناء، يستخدمون استراتيجيات إيجابية لتعزيز سلوك أبنائهم كالثواب والمكافآت بدلاً عن العقاب، إضافة إلى ذلك فإنهم قد يهددون وينذرون أكثر مما يفرضون ويطلبون الطاعة المطلقة.

أما الأطفال الذين ينشأون لآباء موثوقين فعلى الأغلب سيصبحون بالغين يتصرفون بمسؤولية ويشعرون بثقة أكبر للتعبير عن آرائهم وأكثر حكمة في اتخاذ القرارات وتقييم المواقف.

وفي الوقت الذي يقدم فيه بعض الآباء المتساهلين دفئاً عاطفياً ودعماً معنوياً لأبنائهم، فإنهم لا يميلون إلى فعل هذا باستمرار، وبدلاً عن ذلك يضعون إرشادات أكثر مرونة ثم يصابون بالإحباط والغضب عندما لا يتبع أطفالهم هذه القواعد والإرشادات، عوضاً عن أنهم لا يتدخلون إلا إذا كانت هناك مشكلة خطيرة فعلاً وغالباً ما يكونون مستمعين جيدين لأبنائهم لكنهم يفشلون في تثبيط السلوك السيء ومعالجة الأخطاء، حتى تتراكم إلى أن يفقدوا السيطرة تماماً.

وتؤكد الدكتورة نانسي دارلينج؛ أستاذة علم النفس في كلية أوبرلين الأميركية وباحثة في مجال العلاقات الأسرية، على أن عقوداً من الأبحاث أظهرت بأن الأطفال الذين يصفون والديهم بالحزم والتحكم، إضافة إلى إحاطتهم بمشاعر الحب وتوفير الأمان العاطفي، هم الذين يحققون نتائج دراسية أفضل، أقل عرضة للمشاكل والأخوات كأصدقاء بشكل أكثر فاعلية، أو يسعون إلى تقديم أنشطة لأشقائهم في الهواء الطلق، أو يمارسون هواياتهم المفضلة أو الرياضة، أو يتواصلون مع مجموعات من الأصدقاء الذين من شأنهم أن يصرفوا انتباه الأبناء عن الانشغال بالمشكلات المنزلية.

كما أضاف المشرفون على البحث أن المشاجرات المستمرة بين الآباء والأمهات داخل المنزل يمكن أن تؤدي إلى علاقة أكثر تماسكا بين الإخوة والأخوات التي كان من الممكن ألا توجد في الظروف العادية، حيث يتشاركون اهتماماتهم ويتحدثون عن مخاوفهم وعن مشاعرهم بشكل أكثر انفتاحا ويتبادلون الدعم الشامل في ما بينهم.

وقال ديفيز موضحا "لقد تبين لنا أن وجود علاقة جيدة مع أخ أو أخت يقلص من حساسية الشباب الذين يتعرضون للنزاعات بين آبائهم وأمهاتهم، عن طريق انخفاض تعرضهم إلى الضيق الذي تسببه هذه النزاعات". وخلص الباحثون إلى أن ما يثير الاهتمام يتمثل في أن الدراسة عرفت العلاقة الوطيدة بين الأشقاء والشقيقات بعلاقة تتميز بالدفء والانفتاح وحل المشكلات، وفي نفس الوقت التعرض إلى مستويات منخفضة من التوتر وجعل المشاجرات بين الوالدين لها تأثير منخفض عليهم.

العلاقات الوطيدة بين الأشقاء تخفف الآثار الضارة لشجار الآباء والأمهات

نيويورك - تؤثر النزاعات المستمرة بين الأم والأب تأثيرا سلبيا على أطفالهما، وأكدت التجارب والدراسات أن الجدال المستمر بين الآباء والأمهات يعرض الأبناء لمشكلات الصحة العقلية في وقت لاحق من حياتهم، إلا أن دراسة حديثة استمرت لـ3 سنوات في جامعة روتشستر في الولايات المتحدة الأميركية توصلت إلى أن العلاقة الوطيدة بين الإخوة والأخوات يمكن أن تبدد الآثار السلبية للخلافات بين الآباء والأمهات بصفة ملحوظة.

وشملت الدراسة 236 مراهقا وعائلاتهم، تمت متابعتهم لمدة ثلاث سنوات وتم اختيارهم من المناطق التعليمية والمراكز المجتمعية في منطقة حضرية متوسطة الحجم في شمال شرق الولايات المتحدة، بالإضافة إلى بلدة صغيرة في المنطقة الغربية الوسطى.

وسجل الباحثون مؤشرات تتعلق بالنزاعات الأسرية، وردود الفعل التي تعبر عن الضيق والصحة العقلية في ثلاث مراحل مختلفة من إنجاز الدراسة؛ عندما كان أطفال الأسرة في عمر 12 و13 و14 سنة، وتوصل الباحثون إلى هذه الاستنتاجات من خلال إبداء الملاحظات وإجراء تحقيقات ومقابلات شبه منظمة مع الأمهات حول العلاقات بين أبنائهن.

وتوصل الباحثون الذين تعاونوا مع زملاء في جامعة نوتردام وجامعة نبراسكا لينكولن في أميركا، إلى أن الأطفال الذين عايشوا نزاعات بين آبائهم وأمهاتهم لمدة سنة كاملة، كانت ردة فعلهم أكثر تعاطفا كما عبروا عن تضايقهم بدرجة أقل من النزاعات بين والديهم.

وأوضحوا أن هذا التفاعل السلبي مع مشاجرات الوالدين قد يصيب الأبناء في السنة الموالية بمشكلات خطيرة تتعلق بصحتهم النفسية، مثل الضيق والقلق الناجم عن الإجهاد والاكتئاب.

وأفادت نتائج الدراسة أن المراهقين الذين يتمتعون بعلاقة وطيدة مع أشقائهم وشقيقاتهم، لم يظهروا نفس المستويات العالية من الضيق في ما يتعلق بالخلافات بين الوالدين.

وأوضح باتريك ديفيز، المؤلف الرئيسي للدراسة وأستاذ علم النفس في روتشستر في بيان صحافي "ربما يستخدم الأطفال أشقاءهم وشقيقاتهم كمصادر للحماية والدعم العاطفي، أي كشكل من أشكال الترابط"، مضيفا "إذا كان هذا هو السبب الرئيسي للتأثيرات الوقائية، فمن المتوقع أن يستفيد الإخوة والأخوات الصغار أكثر من إمكانية الحصول على دعم الأخ الأكبر سنا، والذي يكون أكثر قدرة على مدهم بالدعم والمساعدة والحماية التي يحتاجونها".

ومع الأخذ بهذه النتائج في الاعتبار، يعتقد ديفيز وفريقه البحثي، أنه توجد عوامل أخرى تلعب دورا كبيرا، وقد يكون من بين هذه العوامل أن يتصرف الإخوة

> المراهقون الذين لديهم صلة قوية بأشقائهم لم يظهروا مستويات عالية من الضيق في ما يتعلق بالخلافات بين الوالدين

وكشفت دراسة سابقة أن الخلافات بين الوالدين تختلف آثارها باختلاف حدتها، لافتة إلى أن اختيار النوع المناسب من الشجار يساعد الأطفال على التفكير باستقلالية.

ونبهت إلى أن كمية الشجارات التي تقع بين الوالدين أو شدتها ليست الأمر المهم بل كيف يتشاجرون؟ وبحسب نظرية الأمن العاطفي يجب على الأطفال أن يشعروا بالأمان، لذلك إن أدى الشجار إلى تقليل شعورهم بالأمان فهو سيء، لكن إن كان الخلاف لا يهدد أمنهم العاطفي فقد تكون له آثار إيجابية.

كما أشارت إلى أن مشاهدة الشجار البناء بين الوالدين تساعد الأطفال على التخلص من التفكير النمطي الجماعي، والنهج السائد لإسكات الأفكار المعارضة بدلا من مناقشتها. ومن خلال مشاهدة ومراقبة الخلافات البناءة يستطيع الأطفال بناء المهارات التي تهيئهم لتبني التسامح والاعتراف بوجهات النظر المختلفة، دون اللجوء للتصيد والشتم والقمع عندما يصبحون بالغين.

سيذهب كل شيء وتبقى القصص

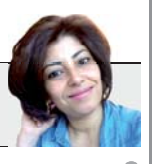

لمياء المقدم
كاتبة تونسية

يقول ابني إنه يريد أن يصبح مترجما مثلي، فأرد بأن عليه أن يصبح شيئا أفضل لأن فرصه في الحياة أكبر واحتياجاته متاحة.

أردد على مسامعه دائما قصة صديقي المغربي الذي كان يقطع جبال الأطلس في شمال المغرب كل صباح إلى المدرسة ذهابا وإيابا، في البرد والظلام وبين وحوش الغابة، في مسافة لا تقل عن 10 كلم ذهابا ومثلها في العودة. صديقي الذي أصبح لاحقا عالم اجتماع وكاتبا مشهورا.

أردد أيضا على مسامعه قصة طه حسين، الأعمى الذي عاش يتيما فقيرا معدما ثم أصبح مفكرا وباحثا وعلامة بارزة في الأدب العربي.

وكلما تراجعت أعداده زادت قصصي، ذلك أني تجرأت مرة، بعد أن حصل على 5 من عشرة في الرياضيات، أن أقص عليه قصة أبوالقاسم الشابي الشاعر الذي مات في عمر 25 سنة بمرض السل، مخلفا ميراثا عظيما من الشعر والفن والمقاومة. قلت هل تعرف أن الثورة التونسية التي هزت العالم، وحركت الثورات في باقي الدول العربية اهتدت على بيت من أبياته؟

ومرة فاجأني بعدد محبط في الكيمياء فقصصت عليه قصة النبي محمد دفعة واحدة، الرجل الأمي الفقير وراعي الأغنام الذي أصبح قدوة للمسلمين ونبيا عليهم وهو لا يقرأ ولا يكتب حرفا.

ولا أدري حقيقة إن كانت هذه القصص تأتي بنتائجها عليه. لا أدري إن كان يجد العبرة داخلها، لكنني أرويها بلا توقف، لأنها كل ما أجيده ولأن رواية القصص أفضل من التوبيخ والتأنيب واللوم.

القصص الأجمل حسب رأيي هي تلك الأقرب إلينا، والتي تشبهنا إلى حد بعيد، وأظن أن قصة ابني المفضلة هي تلك التي تتعلق بشاب مغربي، ولد وتربى- مثله- في هولندا، وعندما بلغ سن 13 اكتشف والده ميولا مثلية لديه، فهجره هو وأمه ليتزوج بامرأة أخرى وينجب أطفالا آخرين (ليسوا مثليين) تاركا الأسرة الصغيرة للفقر والوحدة والشقاء، فما كان من الطفل الصغير المراهق إلا أن اعتمد على نفسه وهو في تلك السن المبكرة ليخرج للعمل في المحلات والأسواق بعد المدرسة وفي أيام الآحاد ليعيل أمه وينفق على دراسته، وهو اليوم سياسي ناجح وبرلماني متفوق في هولندا.

في كل مرة أروي فيها هذه القصة، وهي كثيرة، يطرح ابني سؤالا مختلفا حولها، لكن أغرب تلك الأسئلة كان "لو كنت مثليا كهذا الطفل، كيف كنت ستردين الفعل؟"، وعندما نظرت إليه في دهشة واستغراب، قال بلؤم "اهدئي اهدئي، هذه مداعبة ليس أكثر". ويومها عرفت أن ابني أراد أن يقلب قصتي عليّ، وأن يجعلني أستخلص العبرة،

> أشفق على أبنائنا منا، لأننا نريد منهم أن يكونوا أفضل مما كناه، وأن يفعلوا ذلك الذي لم نتمكن نحن من فعله، بسبب الظروف أو الفقر أو الزمن أو الثقافة أو أي عامل آخر

التي ليست دائما في ما نذهب إليه، بل أحيانا في ما نتركه.

أشفق على أبنائنا منا، لأننا نريد منهم أن يكونوا أفضل مما كناه، وأن يعوضوا خساراتنا ويفعلوا ذلك الذي لم نتمكن نحن من فعله، بسبب الظروف أو الفقر أو الزمن أو الثقافة أو أي عامل آخر. نضع على كاهلهم مسؤولية ما لم يتحقق بحجة أن ظروفهم أفضل وزمنهم أيسر. نريدهم أن يكونوا نحن، في وقت وظروف أفضل، وننسى أنهم يريدون أن يكونوا أنفسهم فقط، أنفسهم لا غير، وأنهم غير معنيين بخساراتنا.

وسوف يذهب الزمن، وتذهب الخسارات، وتذهب الأرقام، لكن القصص ستبقى. شيء منها سيبقى عالقا إلى الأبد، ليس بالضرورة تلك العبرة المسطحة التي كنا نرجو أن نبلغها، لكن، ربما، السكين التي كانت تقطع البصل في تلك اللحظة، صوت القطة الذي أوقف كل شيء فجأة، رائحة الأكل التي تملأ الخيال. وهناك دائما صوت المطر في الخارج، وتلك النافذة نصف المفتوحة التي تطل على الطريق الذي سوف نقف خلفه يوما لنلوح للذاهبين وهم يحشرون حقائبهم في صندوق السيارة الخلفي ويغادرون مخلفين خلفهم الغبار.

موضة

ملابس الجلد لإطلالة جريئة ومختلفة

تزهو الملابس الجلدية باللون الباذنجاني في شتاء 2019 /2020؛ حيث تألقت بها عارضات أزياء الماركات العالمية.

وأوضحت مجلة "آل" الألمانية أن الملابس الجلدية باللون الباذنجاني تمنح المرأة إطلالة دافئة تنطق بالأناقة والفخامة من ناحية وتعكس الجرأة وتفرد الأسلوب من ناحية أخرى.

وأضافت المجلة المعنية بالموضة والجمال أن اللون الباذنجاني يزين هذا الموسم الفساتين والتنانير والسراويل والقمصان، مشيرة إلى أنه يتناغم بشكل خاص مع درجات الكريمي الفاتحة المفعمة بالرقة والأنوثة.

كما تزهو التنورة الجلدية باللون النبيذي في خريف/شتاء 2019 /2020 لتمنح المرأة إطلالة تنطق بالأناقة والفخامة على غرار الدوقة البريطانية ميجان ماركل، والتي تألقت بها مؤخرا.

وأوضحت "آل" أن التنورة الجلدية ذات اللون النبيذي تمتاز بطابع جذاب يأسر الألباب، مشيرة إلى أنها تتألق هذا الموسم بقصّة القلم الرصاص "Pencil Skirt" بصفة خاصة، والتي تساير خطوط الجسم وتصل إلى الركبة، لتمنح المرأة إطلالة مفعمة بالأنوثة. وأضافت أن بعض موديلات التنورة الجلدية ذات اللون النبيذي تزدان أيضا بطيّات البليسيه المفعمة بالرقة، مشيرة إلى أنها تتناغم مع القطع الفوقية التريكو، والتي تخلق تباينا مثيرا يخطف الأنظار.